

الشاعرة العراقية بشرى البستاني تتحدث لـ (الزمان) عن أكوانها الثلاثة*

■ طلال حسن

الشاعرة العراقية بشرى البستاني لـ الزمان
أتحرك في ثلاثة أكوان.. الإبداعي والأكاديمي والإنساني
قالت الشاعرة العراقية بشرى البستاني في حوار لها مع الزمان:
خلقت لأحب الشعر ولأغنيه ولأعيش معه.

واضافت إن المبدع الحقيقي لا يؤمن بمقولات جاهزة تكررُ اليأس والتقاطع مع الحياة؛ فبدون الحلم يغادر الإنسان إنسانيته ليأكل ويتناسل وينام، إن الأمل موجود دوماً، لكنه بحاجة لهمم عالية وإرادات خلاقية كي تنتزعه من ركامات اليأس والصدود.

■ الإبداع زائر مشاكس، قد يفاجئنا في أية مرحلة من مراحل العمر، متى فاجأك هذا الزائر، وكيف كان استقبالك له؟

❖ لشدة تلاحمي بالحالة الإبداعية منذ وعيي المبكر، والتباس مشاعري بين ما هو واقعي وحلمي في تلك المرحلة - ولحسن الحظ ما أزال - يُخيل لي أن الإبداع كان مصاحباً لي منذ طفولتي الأولى، لكنه تجلى كتابة مع نهاية مرحلتي الابتدائية وبداية المرحلة الثانوية حين لفت انتباه مدرستي في اللغة العربية، فراحت تهتم بما اكتب وتدفعني لقراءته. وفي البيت لقيت تشجيعاً استثنائياً، لكن الأهم أن الأمر شكل لدي قضية ذاتية منذ ذلك الوقت وهاجسا يتوهج داخلي بحيث

صرت في وقت مبكر أعرف توجيهي، وصارت القراءة الأدبية والكتابة التي أتمرن عليها بعد انتهائي من تحضير دروسي المقررة هي منهجي اليومي الذي أنجزه لنفسي وأفرح به سرا والذي لا يشغلني عنه شيء، حتى أنّ عزوفاً كان ينتابني عن كل أمر من شأنه إبعادي عن خلوتي مع الكتب والورقة والقلم، وكنت أطلع شقيقي الدكتور يوسف على ما أظنه جيداً، ويوماً فاجأني بجريدة فتى العراق وقد نشرت قصيدتي التي أوصلها هو لأسرة التحرير والتي لا أتذكرها اليوم، لكنني سأظلُّ أتذكر حفاوة الجريدة وأسرة تحريرها بصبية تكتب في مدينة محافظة قاسية التقاليد، وحينها التقى الشاعران الأستاذ عبد الحلیم اللاوند والأستاذ محمد شوقي البكري والدي وطلبا تدريسي العروض لتلافي بعض الوقفات الوزنية لكنه اعتذر لهما مؤكداً أنني سأدرس ذلك حين أصل الجامعة. أما عن استقبالي لأية حالة إبداعية أعيشها سواء على مستوى الشعر أو النقد أو البحث العلمي بمجالاته كافة، فإنها حالة احترام مشوب بكثير من الهيبة والإجلال والمنتجة حين اكتمالها لفرح وعذوبة لا مثيل لهما، وقد تشكلت فكرتي عن الفرح والسعادة داخل هذا المشغل الإبداعي منطلقة من أن ولاءنا للقناعات التي نؤمن بها حتى لو كانت مرهقة ومصحوبة بالكثير من التضحيات هو المدخل الحقيقي لكل سعادة نعيشها، وأن الحياة دون تلك القناعات هي الضياع أو التضييع بعينه، أو هي السكونية والاستسلام الذي لا حياة معه.

■ صفحة بيضاء

■ الكلمات الأولى من القصيدة الأولى، هي المدخل إلى جنة الإبداع وجحيمه، هل تذكرين تلك الكلمات البداية؟ وما هي إن كنت تذكرينها؟

❖ الكلمات الأولى في أي قصيدة وفي كل مراحل عمر المبدع هي المدخل إلى جنة الإبداع أو جحيمه، تكون الحالة جنة حينما تناسب القصيدة بعد التوتر الإبداعي بلا مغصتات، أو حتى بتوقفات اعتيادية، ثم تنتهي المرحلة الأولى من الكتابة وأنا راضية بنقوش الصفحة البيضاء، فأترك النص وأغادره لأعاود مراجعته بعد فترة استرخاء أظنها ضرورية، لتبدأ بعدها القراءة النقدية الأولى، فيكون النص إما مكتملا أو يحتاج لحذف أو إضافات، أو استبدال بعض المفردات، فبلاغة المفردة وانسجامها مع بيئتها التشكيلية ضرورية للإسهام في تشكيل بلاغة النص. أما حين تتلكأ التجربة في التعبير عن ذاتها ولا يؤازرها الإشراق، ويزداد التوتر دون ومض السطر الأول وانسيابه فأدرك أنه الجحيم، وأعمل على مغادرة الكتابة فورا، وهذه الحالة نادرا ما تنتابني؛ لأنني لا أمسك بالقلم خلال التوتر إلا بدعوة حقيقية من التجربة حين تحتاجني لأعبر عنها، ولذلك قيل إن المبدع لا يكتب القصيدة، بل القصيدة هي التي تكتبه، لأن القصيدة الأصيلة لا تأتي قسرا؛ فالولادة القيصرية تنتج نصا كثيرا ما يكون معاقا لم يستكمل نموه ونضجه وتطغى عليه الصناعة الذهنية الصرفة والافتعال

مما يضعف الإبداع، ويحرمه رواء خصبه وتوجهه ويسمهُ بالوهن والشحوب.

إن فهم المراحل التي تمر بها الحالة الإبداعية قضية مهمة لاستكمال العمل الإبداعي مادام الإبداع نشاطا عقليا متميزا وقدرة على الابتكار وإنتاج أفكار وأفعال ومعارف بصياغة تتسم بالكفاءة والقدرة على التجدد والتطور، وهذه المراحل يمكن إيجازها بالتهيؤ والاستعداد المتمثل بالثقافة الدائم والتواصل مع القراءة ثم الاختمار الذي يمتص ما جمع من تجارب ورؤى جمالية وقيمة تتفاعل مع بعضها داخل الذاكرة والمخيلة حتى ينهض ذلك التفاعل بإشراق الفكرة بالتعبير، ثم التحقق من دقة المنجز من خلال العمل على فحصه نقديا واستكمال جوانبه كافة بالمراجعة والتدقيق. إن هذه المراحل الأربع تتطلب من الجهد والصبر المضني ما يكفي لتصور عبء المسؤولية الثقيلة التي يجب على المبدع المسؤول أن يتحملها وأن يفي بها، أما الاستهانة بها فهي التي أنتجت نصوصا لا علاقة لها بالأدب والإبداع لأنها تتسم بالعجلة والقصور والافتعال.

■ الإبداع جمرة تدفئنا، تحرقنا، تضيئنا، ربما نخاف عليها أن تخفت، أن تنطفئ، هل داخلك مرة مثل هذا الخوف؟ ترى كيف تتعاملين مع هذه الجمرة المتقدة في أعماقك الشاعرة؟

❖ كل الأضواء خارجية، بدءاً من الشمس والقمر وكل منظومات الإنارة نزولاً إلى أبسط الشموع التي يوقدها الإنسان، إلا الإبداع فهو اشتعال داخلي يحدث بسرية تامة وفي الظلام، وأحياناً بتوتر شديد يصل حد الأزمة، لكنه يبقى مكتوماً على ذاته وعلى احتدام جدلياته حين يضيء الداخل حتى يفيض على الخارج بأنواره حالماً تكتمل تجربته بالتشكل الفني، إنه الألفاظ السنية التي تأخذنا من جحيم الأرض وهي تموج بالعنف والصراعات وعذاب الإحباط لترفعنا إلى أمن السلام الوارف ومرابع حنوه، حتى لقد صار من المؤكد أنّ الحاجة الإنسانية الأولى هي حاجة للأمن الداخلي والسلام قبل الحاجة للحب؛ لأنه التربة الخصبة السليمة التي تنمو بها الحياة، وهل للحب أن ينمو ويزهر خارج نبض الحياة. نعم، الإبداع جمرة تحرقنا بالرهافة وحساسية استقبال المؤثرات وشفافية الروح، لكنها بالتحقق تغدو جنة النعيم والظلال التي تقينا جهامة الواقع وبؤس أحداثه، وتخلصنا زمنيته المتجددة دوماً والمتوهجة برؤاها التي تناهض ثقل المادة الجائمة حولنا من روتين الزمن التقليدي الساكن الذي لا يقود إلا إلى الموت. فالإبداع صدى الروح التي لا تستقر ذبذباتها على حال، ولا تعرف تموجاتها ثباتاً، بل هي كل لحظة في شأن، والإبداع يعبر عن هذه التلاوين المتقلبة المتموجة العصية؛ إنه

يشكل لنا بفاعليته عالما آخر غير هذا العالم الذي أرهقنا، يشكله برؤيتنا ومن خلال مواقفنا ؛ مما يزيح عنا التوتر ويطفئ الأزيمة، ولذلك فزمني الشخصي منكم بالإبداع، متلاحم به، لا يسمح للزمنية النمطية الخطية بالهيمنة عليه، من هنا كان تكسّر الزمن سمة إبداعية لأنها تفسح المجال لابنثاقات الحلم والتطلع وفعل الخيال المتوثب الذي يُعدُّ من أسى مدارج الارتقاء الذهني، فضلا عن أن للإبداع اليوم دراسات ونظريات خاصة بتعريفه وبطرائق تنميته وإدامة تألقه وتجنب معوقاته، والمبدع المعرفي حريص كل الحرص على متابعتها بدراسة وتدقيق مما يجعل هذا الإحساس بعيدا عنه، علما أنني أدرك كم هو مرعبٌ وقاس أن تشعر بجفاء الإبداع ولا سيما بعد أن غدا مكونا أساسيا من أهم مكونات وجودك. لكنَّ هناك حالة عكسية يعاني منها الإبداع ذاته حينما يجفوه المبدع منصرفا عنه لأسباب اضطرارية، فالإبداع بكل أنواعه كالحب تماما طفل شفاف مدلل يحتاج لتفريغ ومتابعة ورعاية دائمة، وتغذية وتطوير مستمرين ولا يحب الشراكة إلا في حالة اغتنائه من الشريك، وقد عشت هذه الحالة بداية عملي الأكاديمي الذي كان تحديا من نوع جديد، فقبل أكثر من ربع قرن كانت الخطوط المنهجية بسكونيتها هي المهيمنة على الأكاديمية وعلى نقدها وبحوثها المعرفية عموما، وكان علينا نحن الشباب المبدعين الذين دخلنا الجامعة أن نثبت قدرة الإبداع على اجتياح سكونية الخط المنهجي الاستاتيكي الذي توقف عند البنيوية عدا بعض الرسائل والأطاريح النادرة لطلبة كانوا واعدين، ومن الطبيعي أن ذلك التحدي كان يتطلب جهودا استثنائية لكي يتحقق على أكثر من صعيد، صعيد المحاضرة العلمية التي كان عليها أن تجد طريقها الجديد الذي يجعل الإبداع جزءا من المعرفة والذي يجعل

من المحاضرة عملاً إبداعياً كي يثبت حضورها، ثم على صعيد الطالب الذي اعتاد السماع والتلقي لينجح في امتحان تقليدي، هذا الطالب كان يحتاج جهداً من نوع جديد كي يتم تحويله من الصمت إلى الحوارية ومن التصديق إلى الجدل حيث تتحول المحاضرة لحدث علمي يتسم بالتواصل، وعلى صعيد القفزة النوعية في المناهج ولا سيما في الدراسات العليا التي يتسم العمل فيها بمرونة تتيح للأستاذ الجامعي حق اقتراح الوحدات الدراسية وحق رسم طرائق تقديم المادة، فدخلت النظريات والمناهج الحديثة، بدءاً من الشكلانية والنقد الجديد والسميائية ونظريات القراءة والتأويلية ومنطلقات هيدجر وجادامير وتلامذته والتفكيك وجهازه المصطلحي والتداولية ومعطيات ما بعد الحداثة التي نهضت بالنقد الثقافي والنقد النسوي، وعلى صعيد الإشراف والموضوعات المدروسة في الرسائل والأطاريح. هذه المرحلة تطلبت جهداً وزمناً استغرق مني اثنتي عشرة سنة لم يظهر لي فيها ديوان شعري من عام ١٩٨٨ يوم ظهر ديواني أقبَلُ كَفَّ العراق إلى عام ٢٠٠٠ حين ظهر ديوان البحر يصطاد الضفاف حيث نجح الشعر أخيراً باصطياد قيوده والسيطرة عليها وتكسيورها، ونجح الجهد الأكاديمي بتخريج مجموعة جادة ومبدعة من الباحثين الذين أشرفت على أعمالهم شباباً وشابات. في تلك المرحلة انصرفت عن تدليل الشعر وإحاطته بالرعاية المستمرة والحب والحنان، لكنه ظل وفياً يلاحقني فكنت أكتب النص وأنشره في المجالات الثقافية أو أضعه في الدرج، حتى أن أوان العودة، يوم انتصر البحر فجمع قصائده التي صدرت عام ٢٠٠٠ ثم تلاها ديوان ما تركته الريح بطلب من الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب في دمشق، وبعدهما مكابذات الشجر عام ٢٠٠٢، وبقينا أنا والشعر على تواصل

حميم حتى اليوم. أما عن كيفية تعاملي مع جمرة الإبداع، فإن سمات حياتي الشخصية والعملية التي يعرفها الجميع تصلح أن تكون جوابا لهذا السؤال ؛ لأنها تعرب عنه بدقة وصدق، كوني أعطيتها عمري برضى وعرفان، كما أعطيتي الثراء والتوازن والفرح النوعي والانسجام، محتفية بها دوما، أعيش نارها بعدوبة وتصوف يرقى بي عن بؤس الأغيار وبنأى بي عن ظلامية الواقع ليعيدني للحياة أكثر عطاء وشفافية وانتماء.

■ مسؤولية الإبداع

■ الكثير من الشعراء الشباب يكتبون الآن الشعر العمودي، أهو نكوص أم صحوة؟ وكيف تنظرين إلى شعر الشباب عامة؟

❖ بدءا لا بد من الإشارة إلى أن الإيمان بالإبداع أصلا لقيمة النص يدفعنا للإيمان بحرية اختيار الأشكال، وحينها لن يكون ذلك نكوصا ولا صحوة بل هو حق في حرية الاختيار وما يتحكم بالاختيار من عوامل عدة في طبيعتها الذوق والرؤيا وطبيعة الثقافة وطبيعة المنظورات للفنون، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فمن الصعوبة الإلمام وحتى الاطلاع على كل ما يكتب الشباب من نصوص لكثرة هذه النصوص وتعدد وسائل نشرها ورقيا والكترونيا، لكن بحكم عملي الذي عشته وأعيشه مع الشباب عموما، وقريبا من هواجسهم ومواهبهم وتطورهم العلمي والمعرفي والإبداعي وحواراتي الدائمة معهم، فأنا أثق بطاقة المبدعين منهم ثقة عالية ولا سيما الشباب الذين يمتلكون وعيا مع قدرة على الاستجابة للمؤثرات إيجابا وسلبا، ويتمتعون بحساسية

وسعة رؤيا تؤهلهم لعطاء إبداعي ومعرفي، لأنهم يدركون اشتراطات الإبداع ومتطلباته والمسؤولية المترتبة على إنتاجه، كما يدركون أن التطور والتجديد والعمق المعرفي والأصالة إنما هي سمات الإبداع الحقيقي، وأن التجريب ليس هو صيحات موضة عابرة تزول بانحسار الموجة التي شكلتها، بل الحقيقي منه هو ذلك الذي ينهض على المعرفة الأصيلة والوعي العميق بالدور الحركي الذي يلعبه، وحينما يستوعب الشاب المبدع هذه الأمور كلها فإني أنتظر منه منجزا يستحق القراءة، مؤمنة أن أي شكل من أشكال النص الأدبي لن يتمكن من تقديم نفسه باقتدار إلا إذا توفرت له القيمة الفنية التي لا تنحصر بشكل دون آخر، ولا يمكن أن تقتصر على جنس أو نوع من الأنواع، لكن هذا الرأي لا يمكن أن يحجب أبدا رأياً من يعتقد بوجود تطور الشكل وتباين المواقف والرؤى ما دام الزمن يجري للأمام دوماً، ولا رأياً من يعتقد أن النموذج الشعري الخطابي لم يعد ملائماً لعصر التأمل وغموض الحياة وتمنّع التجربة الفنية التي لا يمكن أن يعبر عنها إلا نصٌ متمنع.

نعم، إن تعدد الأشكال دليل غنى وثراء وخيارات جمالية، فضلاً عن أن مرونة اللغة العربية وقدرتها على اللعب والتجدد تؤهل الكاتب لتقديم تجاربه من خلال الشكل الذي يتيح له حرية اكبر في الإخلاص لإبداعه وتجربته الداخلية، لكن مع تجنب التقليد والسكونية. لقد سبق لي أن ذكرت في حوار سابق أن جماليات الحداثة لدينا مهما بلغ شوطها لن تتمكن من إلغاء الكتابة على الشكل العمودي في وقت قريب كما فعلت الحداثة الأوروبية وما بعدها بشعرهم القديم لأسباب يطول شرحها، ولعل في طليعتها قدرة الشعر العربي القديم على التواصل مع

الحاضر لعمقه وثرأء مكنوناته، وطاقته التي أعدها استثنائية على عبور الزمن الينا وتواصله معنا بوهج تخاطب رؤاه أرواحنا وإشكالياتنا، فضلا عن علاقته الحميمة بالتراثين الديني والمعرفي للأمة ؛ واتصاله الوثيق بمؤسسات سياسية وثقافية رأسية مهيمنة ما زالت تحتفي به وتدعمه بكل ثقلها المادي والمعنوي : مما دفع الكثير من الشباب إلى التواصل معه ومحاولة اللعب على تجديد لغته وتحديث المجازات التي أثثته بذلك، مفضلين ذلك على الخوض في الصراعات التي تجرّعها كل من حاول التجريب والتجديد في فضائنا الثقافي العربي وأقرب مثال ما حدث مع قصيدة النثر التي ما زالت مثار جدل حتى بعد استقرارها واقعا ونموذجا ومصطلحا، ولا ننسى أن ما يشجعهم على الاستمرار عوامل شتى منها ما هو ذوقي خاص يؤازره السبب العام الذي ذكرناه، والذي تتدخل في صنع قراره مؤسسات سياسية مهمة تمتلك السلطة وتقدم لهم جوائز ثمينة لم تحظ بها الأشكال الشعرية الأخرى، لأن الأخيرة كانت وستظل نماذج نخبوية وليست نماذج مسارح وحشود، ونعلم جميعا أن نماذج النخبة تعاني دوما من مشكلة ثنائية المبدع « القارئ التي عانى منها كل حديث وجديد وتجريبي عبر العصور، والتي ستظل تخاطب القارئ النوعي الذي يعتمد على الثقافة الواسعة والقراءة التأملية والقدرة التأويلية أكثر من اعتماده على الإقاعات السمعية والصورة البصرية التي تقع في متناول الفهم دون كثير جهد وعناء.

■ كونك مبدعة وأستاذة جامعية، ماذا أعطتك الجامعة، وماذا أخذت منك؟

❖ أعطتني الأكاديمية الكثير الكثير، وأخذت مني الكثير أيضا، أعطتني المعرفة من ينابيعها الأصيلة، والحوارات الجادة والشباب المتجدد، لأن الحداثة التي نؤمن بها تظل باطلة إن لم تكن تجديدا للذات أولا، لمعارفها وإبداعها وسلوكياتها، ولذلك لا بد للأستاذ الجاد من الحرص على أن يكون أكثر حيوية من طالبه في المحاضرة والحوار وخارجهما ليظل ممتلكا زمام التأثير، ولكي تكون أستاذة بحق فإن ذلك يتطلب منك الكثير من الجهد والمتابعة وملاحقة المعرفي الجديد والمصادر النوعية، والسفر الدائم وأداء الواجبات الأكاديمية بانتظام بالرغم من كونها واجبات لا تنتهي في التقويم والخبرة العلمية والمناقشات والترقيات، ولكي لا أخون قصيدي كان عليّ أن أتابع الإبداع بما يجعلني على تواصل معه، مما كان يأخذ حصة الإنسانية ويحرمها الكثير من حقوقها ومتطلبات وجودها، لكن وعي تلك الإنسانية بأهمية تصالحها مع الجانبين وتعاملها معهما بعفوية هو الذي جعل مركبنا نحن الثلاثة يسير بنوع من التوازن، وإن كان توازنا جدليا فيه من الاسترضاءات ما فيه من خلال مصالحة دائمة وتداخل بين الأكوان الثلاثة، الإبداعي والأكاديمي والإنساني لأن الكونين الأول والثاني مغريان ومصحوبان بقدرة عجيبة على الهيمنة، مما جعل الإنسانية سعيدة بعبء الحقلين دون الالتفات لما سوى ذلك من القضايا والأمور التقليدية التي كانت وما تزال وستظل متاحة للجميع عبر العصور.

■ عضلات الرجل

- للمرأة خصوصيتها في كل أرجاء العالم، فما هي خصوصية المرأة العراقية اليوم؟

❖ نعم للمرأة في كل أرجاء العالم خصوصيتها، فبالرغم من كل التقدم الذي أحرزته في الدول المتقدمة غربا وشرقا، إلا أنها ما تزال تعاني من العنف والغبن، فنسبة النساء اللواتي يضرين في أمريكا وحدها من قبل الرجل تبلغ «٦٦» ٨٤ مما دفع عالمة متخصصة بعلم الحضارة مثل ماركريت ميد إلى القول إن المرأة ستظل تُضرب ظلماً وتُعنّف ما دامت لا تمتلك عضلات قوية تجابه بها عضلات الرجل، لكن القضية باعتقادي ليست قضية عضلات قوية، بل هي قضية غياب قيم راسخة تؤازر قرارات التحرر المجردة، كونها قرارات تعاني من تراجع روجي فادح في عصر مادي يفتقد التوازن وينطوي على قصور العلم وهو ينفرد بالساحة عن توفير حاجات الإنسان الروحية والوجودية معا، فضلا عما تعانيه المرأة في العالم كله مع اختلاف النسب طبعا من عدم المساواة في الأجور مع الرجل وفي فقدان فرص العمل وفي الوصول إلى مواقع صنع القرار، يؤكد ذلك تدني نسبة حضور البرلمانيات في العالم إلى نسب الذكور، ولقد تصدت لهذه الأمور لجان غربية ونظريات وتنظيمات منها النقد النسوي والنقد الثقافي والثنائيات التي عاجها التفكيك وغيرها. ونكاد لا نصدق لولا وثائق لجان الأمم المتحدة أن المولودات من الإناث يُذبحن في مزارع الصين وبعض دول جنوب شرقي آسيا لأنهن غير مهيئات

جسدياً للأعمال الثقيلة. أما المرأة العراقية فليس لها خصوصية بل خصوصيات؛ لأنها كابدت وعانت ما لم تكابده امرأة في التاريخ المعاصر، عانت من حصار قاتل ومريع انقض عليها وعلى أفراد عائلتها وعلى الطفولة التي ترعاها بالجوع والمرض وضيق العيش وجهامة الحياة، عانت من حروب دامت أكثر من ثلاثين عاماً اغتالت حياتها وشبابها وأمنيات مجتمعتها، وهيمنت على عمرها بأنواع شتى من الفقرانات والخسائر والنفي والتشتت والهجرة والاعترايات والقلق المدمر، وكان عليها بغياب الرجل في الحروب أن تكون مسؤولة عن إدامة الحياة بجانبها الخاص والعام منفردة متذرعة بمرارة صبر استمر حتى اليوم. إن المرأة العراقية وسائر نساء أقطار الوطن العربي لن تتحرر حريتها الايجابية الا من خلال تحرر مجتمعتها من السلبيات القاصمة التي تحيق بها وبه، وتحجّم بؤر الضوء في سمائه، وفي طبيعتها الانغلاق والظلامية وتسخير الماضي السكوني لسياسة الحاضر والهيمنة عليه وتمييشه وإغلاق نوافذ رياح التقدم التي تعمل على تثوير واقعه وإطلاق كل الممكنات التي من شأنها النهوض بطاقاته العصبية.

❖ قبول الآخر

■ أين تقف المرأة العراقية المبدعة وما المعوقات التي تعترض سبيلها؟

❖ المرأة العراقية المبدعة تعاني السلبيات مضاعفة من خلال فقدانها المتطلبات الضرورية لممارسة عملها الإبداعي، فضلا عن كونها عانت أكثر من زميلتها حينما صارت مهددة بالقتل والتشرد، وقتلت فعلا وذبحت ونُفيت دون ذنب اقترفته غير التعبير عما تراه ممثلا للحقيقة، وما زالت الكثيرات من المبدعات مبعديات عن العراق، منفيات في أراض نائية وبلدان شتى بحثا عن لحظة الأمان. أما المبدعة التي ما زالت تعيش في العراق فهي تعاني كمواطنيها الرجال من تخلف منظومات القيم التي تزداد ظلما وجهالة يوما بعد يوم، باسم الدين المسيس مرة وباسم قيم العشيرة أخرى، وباسم ما طال وطنها من عار المحاصصات والمذهبيات والطائفيات المخجلة، والمنافية للدين ولمعاني المواطنة النبيلة ولكل الفلسفات الإنسانية التي وضعت كرامة روح الإنسان نصب عينها، بينما العالم يتطور ويتقدم بالدقائق، ويمنح حكم البلاد للأكفأ والأرصن والأكثر علما ومعرفة وخبرة والأعمق حكمة ومرونة وقدرة على صنع الانسجومات داخل أطر الاختلاف، فلا ضير في أن نختلف رأيا لكن كل الضير والضرر في أن نتصارع ونتصادم. إننا نعاني من العيش بازواجية مريرة بين نظريات التقدم واشترطات الهوية التي تؤمن بالحوارية والانفتاح وقبول الآخر والتعددية في إطار احترام الخصوصية، تلك النظريات التي نقرأها ونؤمن بها،

وبين ما نراه ساريا في الجوانب التطبيقية، مما يعيق عملية الإبداع شئنا أم أبينا ؛ لأن اللحظة الإبداعية لحظة بالغة الصفاء راقية الشفافية، تحتاج إلى الظروف النفسية والمجتمعية التي توفر لها نقاء تلك اللحظة وصفاءها لتتحقق منجزا، وتتشكل إبداعا. إن المرأة المبدعة تعاني من معيقات جملة منها ما هو ذاتي ومنها المجتمعي، أولها عدم ثقة من حولها بقدرتها الإبداعية حتى تثبتها بجهداها، ولو لاقت تشجيعا لاختلف الأمر، ومن انصرافها عن مواصلة تعليمها التخصصي الذي يعزز إبداعها لظروف سلبية عدة، وعدم قدرة الأسرة والدولة على تحقيق طموحاتها المشروعة في التخفيف من أعبائها المنزلية لتوفر زمنا لإبداعها، ومن صعوبة مواجهة روتين الجماعة وأنماط الحياة التقليدية لأن الإبداع خروج على النمط وتصدي للتقليد، ومن صعوبة وضع مؤهلاتها القيادية موضع التطبيق في ظروف القاهرة لا تفهم السمات القيادية للإبداع فهما موضوعيا بوصفها إقداما وتعرية للسلبيات وقدرة على الاقتحام نحو الأفضل، بل تظنه مروقا على قيم الجماعة وخروجا على المؤلف، وهذا الفهم يسبب لها المتاعب وقد يُجري عليها عقوبات خاصة وعامة ؛ ولذلك فالمبدعة التي لا تتسم بقوة الإرادة والإقدام والتماسك والقدرة على التحدي ولا تمتلك حريتها النفسية الداخلية التي تؤهلها للتعبير بصدق شجاع عن دواخلها وهواجس أنوثتها وعن قضايا واقعها، فإنها ما تلبث أن تنسحب من الساحة ليخمد الإبداع، فضلا عن أهمية توفير حاجاتها وحاجات أسرته الأساسية، فالإبداع لا ينمو ويزدهر إلا بانهماكه في التأمل بالإشكاليات المصرية للإنسان وبمعضلات حياته، لأن مهمة الثقافة والإبداع تخفيف مشاكل الإنسان داخلية وخارجية، والعمل على توفير أقصى أنواع الانسجام في حياته. إن التأمل الذي

يحتاجه الإبداع لا يتم إلا في جو من الطمأنينة، والطمأنينة للأسف أبعد ما تكون عن حياة المرأة العراقية مبدعة كانت أم غير مبدعة، مع أن المبدعة العراقية لعبت دورا مهما في ظروف السلام والحرب في رآب الصدوع وفي نقد السلبيات وإشاعة قيم التحضر والتقدم ورفع كفاءة التذوق الجمالي وسمو الرؤى من خلال الشعر الذي كتبه والرواية والقصة وقصيدة النثر، ومن خلال اللوحة التشكيلية والنحت والنقد والتأليف بمختلف جوانبه العلمية والمعرفية.

■ كان لك نظرتك إلى المرأة، وخاصة في السبعينيات، كيف تنظرين إليها الآن، ونحن في القرن الواحد والعشرين؟

❖ تذكر معي أن المرأة الأمية أبجديا والمتوسطة التعليم في السبعينات كانت متلقية شبه عفوية تعيش بوعي يؤهلها لتقبل ما تجده صدقا، لأنها لم تكن بعدُ مثقلة بعذاب الحصار ولا مرهقة بفقدانات الحروب وتوجسات الرصد والخوف؛ ولم تطرق ذهنها تراكمات الايديولوجيا وفوضى المحاصصات وقتل أولادها وأفراد عائلتها على الهوية بسبب أسمائهم أو طرائق عبادتهم، ولذلك كانت ومعها رجال عائلتها تتقبل خطاب من يخاطبها بصدق وحرص، وتميز بين أنواع الخطابات المطروحة وأهدافها، كانت مستجيبة بشكل جيد جعلها تتقبل الانتماء لمراكز محو الأمية فتعلمت القراءة والكتابة حتى في القرى والأرياف وهذا أمر بغاية الأهمية كونه علمها سلوكا جماعيا فيه من التحضر ما كانت تفتقده مثل النظافة واللباقة والملبس الجيد وأصول

الحديث وتبادل الخبرات والانتماء للجماعة، كما اقتنعت باستبدال الحجاب التقليدي بالحشمة وفهم قيم العفاف بديلاً للتعصب، ولا سيما بعيد هبة عام ١٩٧٥، عام المرأة الدولي وما اجتاح العراق والعالم من تظاهرات ومهرجانات احتفلت بعطاءات المرأة وبأهمية إسهامها في التنمية وفي حراك المجتمع، ووجدت الصبيات الصغيرات طريقهن للمدارس في التعليم الإلزامي، فضلاً عن قضية مهمة هي إتاحة سفر المرأة لكل بلدان العالم دون شرط ولي الأمر وتحديد العمر المتقدم للمسافرة، فقد تجولت وزميلاتي في مدن وعواصم عشرات الدول الأوروبية غربية وشرقية وفي جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي كل أقطار الوطن العربي ونحن بين سن العشرين والثلاثين وما كان لذلك من أثر في توسيع رؤانا وثراء معارفنا وتماسك واستقلال شخصياتنا وإطلاعنا على حضارات الأمم وسلوكيات الشعوب، وتذكر معي أن نقابة المعلمين كانت تنظم السفرات السياحية لمختلف دول العالم بأسعار رمزية لإتاحة السفر للجميع، لكن حال المرأة في كل العصور جزء لا يتجزأ من حركة المجتمع الكلية التي نجدها في بلداننا تتراجع يوماً بعد يوم لأسباب كثيرة لا مجال لتفصيلها الآن، وبحكم السلبات التي تتراكم دون معالجات، مما أدى في معظم الدول العربية وليس في العراق حسب إلى تراجع أحوال المرأة ونكوص طرائق التعامل معها وتحريم ما أحلَّ لها، وهيمنة الفكر المناهض للتقدم والتحضر، والعمل بطرق إرهابية أحياناً على التدخل بمظهرها وبأدق شؤونها وحقوقها الشخصية، بحيث تعجب من الردة التي منيت بها اليوم لو تفحصت حالها في المرحلتين، لكن ما يذكي الأمل وسط كل هذه السلبات الحاضرة وجود الإصرار النسوي على استمرار دخول مختلف التخصصات العلمية ومواصلة

الدرس الجامعي والسعي للتعليم العالي من خلال الانتماء للدراسات العليا ومثابرتهم في السعي لتطوير الذات مما يؤكد أن المسيرة لن تتوقف وإن تعثرت، وأن المرأة الواعية لن تكف عن انتزاع حقها في حياة حرة تتيح لها صنع قرارها باستقلالية وتفهم. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كل المؤسسات الدولية التي وعدت المرأة بالكثير لم تف بوعودها بدءاً من لجان الأمم المتحدة وحتى العراق ومن عام ١٩٧٥ عام الوجود الزاهية لعام ١٩٨٥، حيث انتهى عقد المرأة الدولي بمؤتمر بكين وما فيه من طروحات بعيدة المدى، عالية السقف، علمية القضايا وحتى عبر تبني لجان دولية لعلم الجندر الذي طرح القضية بجديّة أكثر وموضوعية ترقى إلى الدقة العلمية من خلال طرح مصطلح الجنوسة والاهتمام بالنوع والتركيز على أهمية تمكين المرأة ، أقول بالرغم من كل ذلك إلا أن أحداً من كل هذه المؤسسات واللجان والمؤتمرات الدولية والطروحات المتقدمة لم يكن جدياً في معالجة القضية الأساسية بحيث تحولت معظم التوصيات إلى شعارات ترضية رمزية تُطرح لتحقيق مكاسب يجني ثمارها المستفيدون من الحكام ورؤساء المؤسسات واللجان الدولية في كل زمان ومكان دون اهتمام حقيقي بالقضية الرئيسة المطروحة التي ناضلت النساء من أجلها.

■ الشاعرة العراقية بشرى البستاني تواصل مع الزمان رواية حكايتها مع الشعر و الحياة.

هذا هو الجزء الثاني الذي تنشره الزمان لحكاية الشاعرة العراقية بشرى البستاني مع الشعر والحياة حيث قالت: خلقت لأحب الشعر ولأغنيه ولأعيش معه.

■ وازدادت البستاني إن المبدع الحقيقي لا يؤمن بمقولات جاهزة تكررُ اليأس والتقاطع مع الحياة؛ فبدون الحلم يغادر الإنسان إنسانيته ليأكل ويتناسل وينام، إن الأمل موجود دوماً، لكنه بحاجة لهمم عالية وإرادات خلاقة كي تنتزعه من ركامات اليأس والصدود، وفي الآتي اجاباتها عن اسئلة الزمان

وماذا عن المرأة العربية في الربيع العربي الراهن...؟

❖ ظلت المرة العربية تعاني من كونها هامشاً في المؤسسة الأبوية الذكورية المهيمنة، فنتائج مواسم ما سُمي بالربيع العربي حصد ثمارها تيار الإسلام السياسي المؤدلج، الذي رأى بقضية المرأة وهو يمسك بدفة الحكم باباً مهماً للمهيمنة على المجتمع من خلال تفسير الدين حسب رؤيته ومفاهيمه، فجملة الإسلام كرم المرأة لا تعني لديهم أنه أمر بتفعيل طاقتها ومنحها حقوقها الإنسانية كاملة في العمل والحياة وصنع القرار، بل فسر المفهوم على أنه إقصاء لها عن مشروع الحياة وفضائها، وحجرٌ لطاقتها في البيوت أداةً للإنجاب والسهرة على أمجاد الأسرة التي يقودها الرجل من خلال الرجوع بما أحرزت من حقوق إلى الوراء، وسلها ما

جاهدت طويلا للحصول عليه، فالمرأة المصرية مثلا تتعرض اليوم لمحاولات ردة عنيفة، إذ يعمل ممثلون في البرلمان على سلبها حقوقا مهمة، منها السفر وحق الخلع وتحديد سن الزواج والمشاركة في كتابة الدستور والمطالبة بإلغاء المجلس القومي للمرأة مما دفع سبع عشرة منظمة نسائية معنية بحقوق المرأة الى الاتحاد في تجمع أطلق عليه تحالف المنظمات النسوية حتى لقد هبط التمثيل البرلماني للنساء إلى نسبة ٤ « ٢ » فمن أصل ٤٩٨ لا توجد إلا اثنتا عشرة سيدة في البرلمان مما يدل على المرارة التي خرجت بها المرأة المصرية بعد التضحيات التي قدمتها في مشروع الثورة المأمولة، فقد أسهمت في صنع الثورة إسهاما حقيقيا منذ نواتها الأولى في ساحة التحرير وعذبت وسجنت واستشهدت وأعطت رجال أسرتها ضحايا، لكن ما تمتلكه نساء مصر من وعي نوعي وتراكم ثقافي وتجارب في التعامل مع حقوقهن، وخبرة في العمل ضمن المؤسسات غير الحكومية والمنظمات الحقوقية والنسوية ظل يؤهلها لصد محاولات التراجع والردة. وكذلك فعلت المرأة التونسية أمام تناقض تصريحات الغنوشي ورفضها الإجهاز على حقوقها التي نالها بنضالها، ومثلها تناضل المرأة اليمنية من أجل حراك أكثر فاعلية لنساء اليمن. أما المرأة في الأقطار العربية الأخرى فلم تكن قادرة على النهوض بالمجاهمة مما جعلها عرضة لريح الارتداد والتراجع لأسباب عدة أهمها الصراعات الدموية القائمة في بلدانها والعنف المهيمن على الشارع والحياة كما يجري في ليبيا والعراق وغزة وسوريا مما يجعلها منهكة بالحفاظ على حق الحياة هدفا مهما لها وللمجتمع بشرائحه كافة قبل الانهماك بالبحث عن بقية الحقوق.

❖ انكسارات

▪ كيف تنظرين إلى واقع الحياة الثقافية في العراق
بعد «٩» «٤» «٢٠٠٣» ؟

❖ بدءاً لا بد من الإقرار أن الثقافة العراقية بحاجة إلى معالجات جذرية لحل المعضلات التي تعاني منها، وطرح فلسفة شاملة ذات هدف موحد يرمي إلى الحفاظ على وحدة العراق أرضاً وشعباً وتراثاً حضارياً متواصلاً مع تاريخه المعرفي العريق من خلال بناء مؤسسات ثقافية حرة ورسينة يقودها مبدعون حقيقيون يتسمون بوعي يسعى إلى خدمة العراق وثقافته ومنجز شعبه وترصين رقي مجتمعه، فلسفة تضع لها استراتيجية نبيلة تخلصنا من الإرباك وعوامل القطيعة وتضع خطوطها المعرفية موضع التنفيذ جامعة مثقفي العراق ومبدعيه تحت راية واحدة تسعى إلى بناء مستقبل آمن وحر من أي تبعية كانت، فالحياة الثقافية مصطلح مكتنز مركب إن عددناه مصطلحا تدخل في طياته حقول كثيرة ومهمة فهو يشمل الإبداع والإعلام وأنواع المعارف والمستويات الأكاديمية ودور الثقافة واتحاد الأدباء والفنانين والإعلاميين ووسائل النشر دورا ومؤسسات ويشمل النقد والترجمة ومراكز الثقافة والفنون، كما يشمل مقارعة الجهل والامية، فكيف ننظر الى الثقافة اليوم ومعدلات القراءة في الوطن العربي حسب تقرير التنمية الثقافية الذي أصدرته مؤسسة الفكر العربي ٦ دقائق للفرد في السنة بينما يقرأ الفرد الأوربي ٢٠٠ ساعة في السنة. ونحن نطمح إلى رفع مستوى ذوق الناس، ورفع كفاءة التلقي، ومعالجة معضلة ثنائية المبدع «القارئ التي

بنت سدا من الإبهام بين الإبداع ومتلقيه مما يشكل خطرا على ثقافة المجتمع برمتها، كونه يعزل الإبداع عن بيئته ويسمه بالاعتراب، كما يجعل الكثير من المتعلمين وحتى المثقفين يقفون عاجزين عن الاندماج في الحراك الثقافي والإبداعي لمجتمعهم، في حين نجدنا وكل الشعوب النامية بحاجة ماسة لوعي يدفعنا إلى الإسهام في التغيير والنقد والبناء والعمل على درء عوامل السلب، وهذه المسؤولية المهمة إنما تقع على عاتق الناقد لأنها الجزء المهم من مسؤوليته، كونه الجسر الواصل الفاعل بين الطرفين، وكاشف الحجب عن الإبداع ليقدمه بأرصن السبل للقراء، وكل ذلك يحتاج لمؤسسات نقد نوعية عالية الكفاءة، راقية الوعي، واسعة الرؤيا، واضحة الهدف، منهكة بقضية توحيد المجتمع وتنويره وتطويره، كما يحتاج لخطط منهجية تعمل بشمولية على جعل الثقافة قضية وطنية من الدرجة الأولى، وتحرص على تعميم التثقيف بوصفه حقا من حقوق الفرد وواجبا عليه.

لقد وُجِه لي هذا السؤال مرات، ولعل الجواب لا ينحصر في كون الثقافة بنية فوقية تفرزها بنى تحتية فاعلة يؤسس لها الاقتصاد وصراعاته الطبقية، لأنها في الحقيقة البنية التي تركز عليها كل البنى المهمة في المجتمع كونها في تياراتها الصاعدة والهابطة تعمل على تشكيل البنى الأخرى برمتها من خلال تشكيلها عقليات ورؤى الفرد والجماعة، وهذه العقليات بما وعت من تنوير هي التي ستعمل على بناء المستويات الناهضة بالمجتمع، ونظرة متأنية لكل ثورة حقيقية تُرينا قاداتها مفكرين وفلاسفة بمستويات نوعية وورقي ثقافي ووعي مجتمعي سواء في ذهنياتهم ام في تطبيقاتهم العملية النوعية، فمن يقود الثقافة العراقية الآن، وما هي

الإمكانيات المتوفرة لهذه الثقافة وقياداتها ونحن نعلم أن الثقافة قوة لا تنهض إلا بدعم مادي متواصل.؟.

إن العراق اليوم سياسيا واقتصاديا ومجتمعيا يعيش انكسارات هائلة في فقدانه المتطلبات الأساسية للإنسان مقابل هدر ثرواته في مفارقة حادة فضلا عن شيوع أنواع الفساد من البطالة والرشوة والانصراف عن الاهتمام بمعالجة أسباب معاناة المواطنين ورفع مستوياتهم المعيشية والصحية والعلمية والمعرفية، مع أن مهمة الثقافة الأصيلة هي العمل على إسعاد الإنسان وحل إشكالياته وتخفيف معاناته، لأنه لا سعادة وسط إشكاليات الحياة الأساسية، فكيف ستمتلك الثقافة اشتراطاتها. وكيف تتشكل ثقافة مع ضعف في المؤسسة الثقافية وفقر في إمكاناتها المادية وفي نظرياتها المتماسكة وفي توفير قيادات قادرة على مواجهة والرفض والتصدي، إن ضعف الدعم الذي ترصده الدولة للثقافة، وعدم قدرة وسائل النشر على تلبية حاجة طبع النتاج الثقافي ونشره للمبدعين أمور تخل بالوضع الثقافي وبمستواه المأمول، وتجهز على الثروة الوطنية المعرفية، فضلا عن غياب التخصيصات للمبدعين ورعاية الموهوبين وغياب جوائز الإبداع المهمة التي تعمل على إبراز الإبداع العراقي عربيا وعالميا، كما يغيب الاهتمام بإبداع الشباب وبيوت الشعر والمراكز الثقافية ولا نجد سلاسل وكتب دورية توزع بانتظام على مدن العراق كافة وتصل القرى والأرياف، ولا دعم للورق والمطابع والمؤسسات المعرفية، فكيف سيكون حال الثقافة، ولا بد لي هنا من توجيه تحية صادقة للمبدعين العراقيين الذين أسسوا مواقع إلكترونية ثقافية مختصة ورصينة شكلت تجمعات ثقافية استقطبت أسماء عراقية وعربية ذات قيمة معرفية كموقع الناقد

العراقي ومؤسسة المثقف والروائي والمتوسط أونلاين
والحوار المتمدن والنور وغيرها.

■ بعد مجموعتك الأخيرة، التي ضمت جميع
دواوينك، هل تقفين على أعتاب مرحلة جديدة،
أم أن الآتي هو استمرار لإبداع المسيرة؟

❖ كان همي الأول في السنوات الماضية هو جمع دواويني في
عمل يضمها جميعا، وجمع ما كتبت من قصائد نثر
ونصوص طويلة في كتاب واحد صدر مؤخرا عن دار
فضاءات بعنوان خماسية المحنة ضم رواية شعرية بعنوان
الحب ٢٠٠٣ و كتاب الوجد و كتاب العذاب و غرائز الكون
و أنا والأسوار ، وقد تحقق لي الأمران من خلال تفرغ علمي
منحتني إياه الجامعة عام ٢٠١٠ ٢٠١١، وكان الفضل في
إنجاز هذين العاملين يعود لإلحاح طلبتي المبدعين وأخص
منهم الشاعر الدكتور أحمد جار الله الذي ظل يلاحقني
بضرورة هذه الخطوة كلما رأى انهماكي بطلبة الدراسات
العليا وبمشاريعهم. أما الآن فأمامي قضية أخرى لا تقل
أهمية عن تلك، ولذلك يُلحُّ علي بها طلبتي وزملائي وهي
جمع بحوثي الأكاديمية في كتب لم أجمع منها سوى خمسة
كتب والسادس في المطبعة، وسوف أباشر بهذه العملية هذا
العام بإذن الله مع تقديم مجموعة قصائد نثر للطبع
بعنوان إلبسي شالك الأخضر وتعالى وهي من قصائدي التي
تجلت فيها كل هواجس التصوف التي عشتها، والتي يتسم
تصوفها بتوجهه الخاص. أما المرحلة القادمة فهي التفات
لمشروع جديد لا يمكنني الإعلان عنه إلا بعد المباشرة به.

❖ تصورات أخرى

■ في حياتنا الإبداعية نصوص نتمنى لو لم ننشرها، ونصوص احتفينا بنشرها، ونصوص لم ننشرها لسبب ما، هل لمبدعتنا بشرى البستاني مثل هذه النصوص؟ وهل يمكن أن تحدثنا عنها؟

❖ نعم، قد يكون ذلك صحيحا لحد ما، لكن بالنسبة لنا نحن كتابها، أما بالنسبة للدارس، فإن كل نصوص المبدعين المنشورة لها أهميتها حين تؤثر سير تطور الكاتب ومدى اختلاف لغته من مرحلة لأخرى، ومدى اختلاف التشكيل لديه وتباين البنى والتوجهات، فكل نص يمثل مرحلته وعلى الدارس أن يسائله في ظل تلك المرحلة ومعطياتها، وليس في ظل تصورات أخرى، مع مراعاة مدى قدرة ذلك النص على الوصول للمرحلة الراهنة والعبور للمستقبل، فليس من المنطق الفني أن تكون نصوص المبدع بمستوى واحد عبر حياته كلها؛ ودراستنا لمجمل نتاج الشعراء عبر العصور تؤكد ذلك؛ لأن التراكم المعرفي والخبرة الفنية والجمالية والحياتية والوقائع وأثر الأحداث كلها عوامل تعمل بفاعلية على إحداث التغييرات الذوقية وتباين مستويات الإبداع، لكنني مع ذلك حذف نصا أو نصين من مجموعتي الأولى ما بعد الحزن التي كتبت معظم نصوصها في سن مبكر وأنا طالبة في البكالوريوس، ولا أدري الآن لماذا حذفها، أما النصوص التي ما زلت أحتفي بنشرها فهي تلك التي لولا كتابتها لقتلت قهرا ولصرعتي مرارة العذاب؛ كونها أفرغت حزني ومواجدي ولوعاتي محولة إياها من وجع داخلي إلى تشكيلات لغوية أشعر بعدها بخفة الروح وانزياح التأزم وأحسُّ بالراحة من عبء ثقيل كان يجثم على صدري

ويعيقني عن مواصلة الحياة بسلام.

أما النصوص التي لم أنشرها فهي كثيرة أيضا، ولعل ذلك يعود لعوامل وتحسبات شخصية وأحيانا عائلية تجعل حجمها عن النشر يوفر لي ما أحتاج من أمن نفسي، مع أنني كما تعلم أتمتع بشجاعة كافية وجرأة أدبية لا حياة للإبداع بدونهما، لكنك تعرف كذلك أن للظروف القاسية التي نعيشها أحكاما تفوقنا سطوة وغالبا ما تملي علينا إجراءاتها هي، ولي على ذلك أدلة واقعية للأسف لا مجال لذكرها، وأشيرُ هنا إلى أن ذلك لم يحدث معي أبدا في مجال الشعر، بل حدث أكثر من مرة في مجال البحث وموضوعات الدراسة الأدبية.

. الحرية، هذه الكلمة الحلوة، التي طالما تحدثنا عنها، كيف تنظرين إليها في ربيع. شتاء العراق والوطن العربي؟

لن اقف عند مصطلح الحرية، لأنه مصطلح يختصر الوجود الإنساني برمته، به تتحقق إنسانية الإنسان وتضان كرامة روحه، به ندرك مديات الحب والحلم والجمال، وبعيدا عنه ينضوي الإنسان ويتشيء ليذوي ويموت في الحياة، أما مصطلح الربيع العربي فهو مصطلح ما زال غائما يسوده الكثير من الضبابية لدى الكثير من المفكرين المهتمين بالقضية السياسية والاجتماعية اليوم، ذلك أن المختصين بنظريات الثورة وكما درسنا منذ صبا المبرك يؤكدون أن أي ثورة حقيقية لا يمكن لها أن تستوفي شروطها إلا من خلال تخطيط و استراتيجيات متفهمة للأسس والأسباب التي تدفع للتغيير من خلال فلسفة تعي الأبعاد الجوهرية للتغيير وتضع نصب أعينها أهمية تشكيل رؤية واضحة عن البدائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعن ترسيم وتأثير مستقبل البلاد

من خلال دراسة معمقة للأهداف المرسومة بحيث لا يؤدي التغيير إلى إحداث فراغ وفجوات تملؤها الفوضى وتعيث بها الاضطرابات والإرباك والانفلات مما يعمل على تفعيل عوامل الفساد والتخريب والعبث بمقدرات البلاد والبشر كما جرى في أكثر من بلد عربي. لكن بالرغم من ذلك لا يمكننا نكران الهزة الضرورية التي فاجأت الدكتاتوريات العربية التي عاثت بالأرض والبشر والحراث والنسل فسادا وسلبا ونهبها وامتلكت السلطة امتلاكاً وراثياً مشيناً، بحيث تتغير الدساتير من أجل التوريث، وكأن البلدان سجلت بأسماء الحكام سندا أبدياً، وكأن النساء عقت عمما عضالا عن إنجاب من يخلف الراحل العتيد غير محروس من صلبه. إن هبة الشوارع العربية كسرت حواجز الخوف من تنكيل الأنظمة الغاشمة وبطشها، وأعدت للإنسان العربي اعتباره وثقته بنفسه ذاتا فاعلة بعد أن ظلّ مشيئاً عقوداً طويلة، فقد استرد الفرد العربي كرامته الإنسانية حينما قال لا، وأصر على الرفض، وسواء كان الآخر الغربي صاحب مصلحة في ذلك أم لا، فإنه هو الآخر سيحسب لهذه الهبة الشاملة ألف حساب.

إن الشعب العربي الذي عاش مقهوراً خلال أكثر من نصف قرن عادت له اليوم ثقته بقدرته، إذ نهض ذلك الممكن المستحيل الذي غدا بتنكيل الحكام ميئوساً منه، فصار متاحاً على حين غرة.

إن أنظمة الحكم الفاسدة التي أهدرت أوطاننا وسرقت وأحرقت ثرواتنا وخربت تاريخنا كان أبشع ما اقترفته عبر مسيرتها أنها عاثت بأرواحنا، وجعلتنا نعيش مكابدات فسادها بدل الانهماك ببناء أوطاننا وتحديثها، وانصرافنا لحوار الحب والحرية والفرح والجمال، وكانت المفارقة المرة

أنا خلال كل مجريات تلك الأيام السود كنا نتحدث عن
الحدث وما بعد الحدث منذ نصف قرن.

❖ مكان فاعل

▪ للوطن - العراق حضوره الكبير في إبداعك،
والوطن - العراق ينحدر في هذه الظروف إلى
المجهول، ما دور القصيدة الآن، تراثي، تمجد،
تستهزئ، أم.. ليس ثمة أمل لكلكلامش؟

❖ لا شك أن الدارس لشعري سينتبه لهذا الحضور الكبير
للوطن وأهله، وللناس الطيبين الذين لحق بهم جور كبير،
وللشهداء من كل الأعمار رجالا ونساء وأطفالا، أولئك الذين
حرموا حياة كان من حقهم أن يعيشوها وأن يحققوا ذواتهم
وأمانهم فيها، لكنهم راحوا ضحايا حروب وعدوانات هي
الجريمة بعينها، وما لحق من ظلم بالإنسان العراقي لحق
بالأرض وبالطبيعة والمياه والأمكنة العراقية كلها، ونعرف
جميعا أن المكان كائن له سيرته وفاعليته وتاريخه، وأن
الأدب منذ طفولته اهتم بالمكان تماهيا ووصفا وترميذا
وتمجيذا، وكانت الأطلال هي اللحظة الفلسفية التاريخية
الحضارية التي ظلت متألقة في الشعر العربي حتى اليوم،
لأن المكان فعل تاريخي مخضّب بالحدث، فعل لا يتشكل
كيانا إلا بفاعلية الإنسان به وفيه وعليه، ولذلك فإن كل
أذى لحق بأرض العراق كان وما يزال يعذبني، لأنه وطن
خالد يضم في عروقه عبير وعرق العراقي المثابر عبر أكثر من
سنة آلاف عام، ولذلك فهو مكان فاعل ومنفعل بجهد
الإنسان الذي شكل شخصيته وكثف وجوده، لقد كنت
أتمزق بضراوة مع كل صاروخ سقط على دجلة، لقد كان
الأمريكان يتدربون عسكريا منذ عام ١٩٩١ حتى عام ٢٠٠٣

على شواطئ دجلة يرمون فيه وعلى ضفافه برشقات من صواريخهم كل يوم ليل نهار، وأتعذب بوجع كلما سمعت أو قرأت عن نضوب دجلة والفرات في مدن الجنوب، وعمما جرى لنخيل البصرة أجمل النخيل في العالم، ولشط العرب الذي كان أكتف الأنهار وأجملها وأثراها، أتعذب بوجع كلما قرأت عن الآثار العراقية التاريخية التي سرقت وتُسرَق من متاحف العراق، حتى لكأنها تنتزع من خلايا جسدي. ولعل من المناظر الحربية البشعة التي لازمت ذاكرتي صورة المكتبة الوطنية ببغداد ورفوفها العامرة بأكداس الكتب متفحمة على الشاشة، يومها أغمضت عيني وجفت الدموع. كل هذه الأوزار يتحمل جرائمها من نعرف ومن لا نعرف، وأنا على يقين أن هناك الكثير الكثير فضلا عن العراقيين من العرب والأجانب الشرفاء من يتعذب لهذه الكوارث مثلنا، ولكلِّ منا طريقته في التعبير، وقد كان الشعر لي وسيلة وغاية معا لتشكيل رؤية فنية تعبر عن رفضي الأليم لكل أنواع العدوان على الإنسان وعلى وطنه وما يحب ويحترم من خصوصيات وأشياء وتراث وقيم وفنون. أما عن حال العراق اليوم، فمن البديهي أن حزني لذلك جارح لكني بطبعي لا أميل إلى التشاؤم، نعم أنفعل بشدة وأحزن وأمراض بانفعالي لكني أو من دوما أن الزمن الذي يُجري تحولاته كل لحظة على الكون فيطلع الفجر من أعماق الظلمة ويرمي بالشمس للمغيب والقمر للتحول، ويجري تغيراته على الإنسان والأشياء والبحار والمحيطات، لا بد أن يخفي في طياته ما قد يفاجئنا به من تحول ممكن يطلع من أعماق المستحيل، هذا المستحيل الذي دفع الشباب العربي لأسباب معروفة مجهولة لانتفاضات غيرت واقعا سياسيا عربيا لا أحد كان يتصور تغييره بهذه السرعة وبشكل جماعي. إن فلسفة الكوانتم «التحولات التي درسها بإعجاب

هي التي تمنحني الأمل وتجده كل يوم، وبغيرني بها ما أكده فيلسوفها ماكس بلانك من أنه لا حتمية ولا مستحيل في الحياة، بل كل شيء عرضة لاحتمال التغيير والانبثاقات المفاجئة على حين غرة، فضلا عن أملي الكبير بقدرة الإنسان العراقي على التجاوز، وامتلاكه جينات حضارية حية ومتواصلة تجري في دمه منذ العصور الحجرية الموغلة في القدم.

إن المهمة الأساسية لقصيدة اليوم باعتقادي هي كل ما ذكرت وأكثر من ذلك تماما لتستطيع استنهاض مؤازرة حقيقية للإنسان، مهمتها التحريض على دحر الشر واسترداد الحب والجمال والتسامح ودحر القبح والضغينة، واستنهاض الهمم وتمجيد فعل القيم لنصرة البراءة المهمددة بشتى أنواع الظلم والقسر والنهب والفقدان، وهذه المؤازرة هي التي تحدد مضامينها كما تحدد تقانات التعبير عن تلك المضامين، ففي الشعر العراقي اليوم تجد رثاء للإنسان والواقع كما تجد سخرية من الواقع، تجد تمجيда للقيم كما تجد تهكما بمن يدعمها ثم يطعنها سلوكا، تجد شعرا رومانسيا كما تجد شعرا واقعيا وثوريا وحتى تجريديا وسورياليا وتجد شعرا إشكاليا كذلك، فتناقضات واقعنا تتسع لكل الألوان والمذاهب والاتجاهات والتوجهات.

لقد شبع العالم المعاصر وإنسانه قسوة ورعبا، وهو اليوم بحاجة لكثير من الحب والحنو، وأعتقد أن الرجال الذين حكموه بتوجهات ذكورية تتسم بالعنف هم سبب الكوارث التي نزلت به تحدوهم المصالح والسلطة والكراسي والذرائع، ولو أتيح لأنثى حانية حكيمة وصانعة قرار أن تحكم العالم لضمته إلى صدرها، واحتضنت بشره وشجره وأنهاره، ولنزعت عن سواعد شبابه الأبرياء سلاح الحروب لتعلمهم

المحبة والتسامح وزراعة الحقائق، ولقد قلت ذلك في قصيدة نثر افتتحت موقعي الالكتروني عنوانها هذا العالم لا يتسع لحيي .

أما عن مقولة ليس ثمة أمل لكلكاش، وأنا الآن لا أكتب كالما إنشائيا، بل أعتمد في توجهي على مسيرة الإنسان عبر التاريخ وعلى قدرة المتغيرات على النهوض بالممكنات العسية العنيدة من ركام وتراكم المستحيل. إن الإنسان غير محكوم بدوافع جاهزة، وطاقاته غير مقيدة بأنظمة تتسم بالثبات والاستقرار، لأنه حالة بالغة التعقيد من المدركات والاستجابات التي كثيرا ما تشتغل خارج أطر الحتمية والحسم، وغالبا ما تفاجئنا بنهوض ذلك الذي خلفناه مستحيلا أو غير ممكن في أقل تقدير، وما دام الإنسان خلق ليحيا فإنه سيظل يقاوم عوامل الجذب والموت والفاء، وهو في دفاعه عن الحياة أشد ما يكون ضراوة وإخلاصا، وما مهمتنا اليوم فنانيين ومبدعين ونخبا ومعرفيين إلا العمل بكل الصدق والمثابرة على مقاومة فناء شعبنا ووطننا بكل عوامل الإيجاب المتاحة.

❖ السايكولوجي والشعر

■ الأنظمة العربية الشائخة المتهرئة، يعصف بها الآن الربيع العربي، هل نأمل أن يعصف ربيع بالشعر العربي الراهن، وما هي في رأيك الاتجاهات الممكنة لهذا الربيع؟

❖ من يتأمل الشعر العربي عموماً، والعراقي بشكل خاص، فإنه سيجد ألواناً من النصوص تتشكل بتقانات شتى، وبأساليب متباينة في التعبير، وسواء صفت هذه الأساليب دلالة أم لفها الغموض وخاتلها المعنى فإنها تبقى في النماذج الجيدة منها تستحق القراءة والتحليل ولكل نص مشغله النقدي الخاص. إن تنوع الحياة اليوم وانفجار إيقاعاتها لا يمكن أن يوجه الفن باتجاه مرسوم ولا يسير به سيرا أحادياً ما دام الشعر الحقيقي يستلم معظم إشارات من الواقع المحرك لمخيلة المبدع، والفاعل في ضميره السايكولوجي والشعري، وما دام الواقع زاخراً مشتتلاً بالمتغيرات، وما دامت الأنا تتشكل وتنهض من صميم الجماعة، فإن الشعر باعتقادي في ضوء تراسل الفنون وتداخلها والتضاييف معها سيظل يتطور، والقارئ الواعي ذو الحساسية الفنية العالية سيظل يتقبل تطوره وتنوعه وتبايناته، ودليلنا على ذلك ما عانته قصيدة النثر من رفض الراضين والمعاندين، لكنها ظلت لدى المؤمنين بحضورها نموذجهم الذي دافعوا عنه واستمروا على الكتابة به وتطويره والإخلاص له. إن المهم في النص الأدبي هو قيمته، وبراعة اللغة الأدبية التي تؤدبه، وأسلوب الشعرية التي تقدمه والقيم الجمالية الثابتة فيه.

وحينها ستكون الأشكال هي النسج الحميم الذي يبث تلك القيم مندمجة ببعضها، لا انفصام لها، وما دامت اللغة العربية تتسم بالمرونة وبالقدرة على توليد المجاز باستمرار وتشكيل الصور التي تتسم بالحيوية والحركة، فإن الشعر سيواصل مع التغييرات الجذرية فاعليته، لكن الإبداع كما سبق أن أشرت بحاجة إلى دعم مادي ومعنوي ومؤسسي يهتم به وي طرحه للدرس ويقدمه للقراء وي طرح الجيد منه للترجمة درءاً للقطيعة القائمة بيننا وبين العالم لنواصل المسيرة باتجاهات سليمة.